الاضطرابات الأميركية: أسباب ودلالات

■ حميدي العبدالله

تشهد المدن الأميركية تظاهرات ومواجهات بين جماهير غاضبة وبين عناصر الشرطة وصلت في إحدى الولايات إلى حدّ التلويح بالاستعانة بالجيش الأميركي للسيطرة على الموقف، وعمّت الاضطرابات غالبية الولايات الأميركية، بما في ذلك نيويورك.

في تاريخ الولايات المتحدة الكثير من هذه الاضطرابات، أيّ أنها لا تحدث للمرة الأولى، ولكن في كلّ مرة تكون لها أسباب، بعضها مشترك، وبعضها يفسّر حالة بذاتها. المشترك في كلّ الاضطرابات التي شهدتها الولايات المتحدة هو السياسة العنصرية المعتمدة من قبل الجهات الرسمية والتي تنعكس باستمرار باعتداءات دموية من قبل عناصر الشرطة ضدّ المواطنين السود.

في البداية، في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، كانت المواجهات والاضطرابات حالة يومية ودائمة، لأنّ سياسة التمييز العنصري كانت تشمل جميع جوانب الحياة، لاحقاً عندما تخلّت الدولة الأميركية رسمياً عن سياسة التمييز العنصري ورضخت لضغوط حركة التحرّر التي قادها السود وقدّموا الكثير من التضحيات في سبيلها، اقتصرت السياسات العنصرية على تصرّفات بعض المتطرفين البيض، وعلى ممارسات الشرطة ضدّ الشباب الزنجي، وقتل بعضهم بذرائع مختلفة، ولكن ردود الفعل على هذه الحوادث كانت دائماً ردوداً موضعية وظرفية، ونادراً ما تحوّلت إلى مواجهات أو هبّات شعبية تشمل كلّ أنحاء الولايات المتحدة.

لكن المواجهات الحالية المستمرة في المدن الأميركية تأتي في سياق مختلف، وبالتالي من غير المستبعد أن تتواصل، وربما تتصاعد، وقد تترك آثاراً عميقة على الأوضاع السياسية في الولايات المتحدة، ومن أبرز ما يميّز هذا السياق:

أولاً، الأزمة الاقتصادية التي تعصف بالولايات المتحدة والتي تعتبر من أطول الأزمات التي مرّ بها الاقتصاد الأميركي على امتداد التاريخ، حيث أدّت هذه الأزمة إلى انتشار البطالة، وانخفاض مستوى معيشة جزء كبير من المواطنين الأميركيين، في مثل هذه الظروف تصبح البيئة ملائمة لوقوع اضطرابات في أيّ بلد من بلدان العالم، ولهذا لوحظت مشاركة كثيفة للبيض في تظاهرات الاحتجاج التي تشهدها المدن الأميركية، وهذه المشاركة تعكس واقع المعاناة الناجمة عن الأزمة الاقتصادية وانتشار البطالة التي لم تميّز بين السود والبيض والملوّنين.

ثانياً، فشل جهود إخراج الاقتصاد الأميركي من الأزمة نجم عنه وقف تدفق المهاجرين والتشدّد في منح الجنسية للأميركيين المهاجرين الذين أمضوا فترة في الولايات المتحدة، ولا سيما السود والملوّنين (اللاتينيين)، وقاد ذلك إلى تضرّر ملايين المقيمين في الولايات المتحدة، بعض الإحصاءات تقدّر عددهم بأكثر من ثمانية ملايين نسمة، وبديهي أنّ هؤلاء هم حلفاء للعاطلين عن العمل وللسود الذين ما زالوا يتعرّضون لأشكال متعدّدة من التمييز.

هذا السياق من شأنه أن يجعل الاضطرابات الحالية مختلفة عن الاضطرابات التي تحدث عادة حول تجاوزات فردية للشرطة، الأمر الذي قد يتسبّب بولادة حركة سياسية جماهيرية جديدة تناضل من أجل إحداث تغييرات جوهرية في الحياة السياسية والاجتماعية القائمة في الولايات المتحدة.

سورية: حلّ سياسي لإكمال الحلّ العسكري لا لإيقافه

■ روزانا رمال

لا يستطيع أحد من مؤيدي الدولة السورية أو معارضيها، إنكار حقيقة أنّ الحلّ السياسي في العامين الأوليْن من الأزمة وما تلاها من شهور سبقت معركة القصيْر في حزيران 2013 كان يمرّ حكماً بوقف الحلّ العسكري، والدولة السورية بنت رؤيتها، للإنصاف، على هذه المعادلة في تلك المرحلة، فكانت تقدم كلّ التسهيلات الممكنة لإنجاح مساعي وقف النار، وسحب الجيش إلى خارج المدن والشوارع التي تشهد الاشتباكات المسلحة، حتى صارت خطواتها موضع انتقاد من مؤيديها أنها تكبّد جيشها ومناصريها كلفة استرداد المواقع التي تكون بيدها قبل الاتفاقات مرتين، ويشهد على ذلك تقرير اللواء السوداني محمد مصطفى الدابي رئيس فريق المراقبين العرب، الذي رفضت المجموعة العربية برئاسة وزير خارجية قطر حمد بن جاسم والجامعة العربية بقيادة نبيل العربي، تقديمه إلى مجلس الأمن، يوم كان القرار بمواصلة الحرب على سورية يستدعي السعي إلى استصدار تفويض مشابه لتفويض الحرب على ليبيا، كما يشهد على تقييم الدولة السورية لصلة الحلّ السياسي بوقف النار، في تلك المرحلة كلام الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان، الذي تولى مهمة الوسيط الأممي للحلّ السياسي في سورية وقاد مساعي وقف النار في حمص، وأعلن بعد نهاية مهمته أنّ الفشل يعود إلى سيطرة الإرهابيين على قرار المجموعات المسلحة، وتحوّل القيادة السياسية لهذه المعارضة إلى مجرّد واجهة يختفي وراءها الإرهاب، وأنّ الرئيس بشار الأسد كان صادقاً وجاداً ومتعاوناً في السعي إلى حلّ سياسي، لكن قراراً دولياً إقليمياً كبيراً كان يحول دون فتح الباب لهذا الحلّ، حيث كان العداء للرئيس الأسد يتقدّم على ما يُقال عن رغبة بتجنيب سورية حمام الدم المفتوح من جهة، والتحسّب لخطر تجذر ونمو الإرهاب من جهة أخرى.

سقطت تلك المرحلة وانتهت في العام 2013 وبدأ مسار جديد تتبوّأ فيه تشكيلات «القاعدة» صدارة المشهد العسكري، لكن الحساب الخارجي لتدخل مباشر في سورية من الأميركيين خصوصاً بقيَ يعيق الاعتراف بالحقيقة التي صارت تظهر يوماً عن يوم بصورة أشدّ وضوحاً، وهي أنّ الجهات المعارضة التي يمكن جلوسها على طاولة مفاوضات لم يتبق لها شيء من الحضور الميداني، يبرّر جلبها إلى طاولة تبحث بحلّ أمني اسمه وقف القتال يشكل بوابة للحلّ السياسي، بل صار الحلّ السياسي المطروح منذ التسليم باستحالة خوض حرب خارجية على سورية، يعني إيجاد مقايضة تقبل بموجبها الدولة السورية إدخال مجموعات معارضة في تشكيلة حكومية مقابل تراجع أميركا وحلفائها عن العقوبات ضدّ سورية، وقبولهم العودة إلى علاقات طبيعية مع حكومة سورية يقولون إنها موضع قبول ورضا بحصيلة الحلّ السياسي، ويكون معيار تحديد هوية المعارضين المشاركين في الحلّ هو ذات عنوان ومبرّر العودة إلى الانفتاح على الدولة السورية، الحرب على الإرهاب، وهو ذات الإرهاب الذي كان قبل سنتين رهاناً لإضعاف الدولة السورية وإجبارها على التفاوض حول منصب الرئاسة وعلى الحقوق السيادية للدولة، في مناخ الوهم بالقدرة على إدارة المجموعات الإرهابية وإبقائها تحت السيطرة عند حصول ذلك، وفي كلّ حال فذلك التنازل السوري لم ولن يحصل، وها هو الإرهاب صار خارج السيطرة، حتى صرّخ نائب الرئيس الأميركي جو بايدن في وجه حليفيه التركي والسعودي قائلاً: ها هي نتائج أوهامكم بإسقاط الرئيس السوري، وهكذا صار الحلّ السياسي طريقاً ينتهي بالحلّ العسكري لمواصلة الحرب على الإرهاب بعدما كان يبتدئ بحلّ عسكري اسمه وقف القتال.

الحلّ السياسي الأوّلي لن يكون أكثر من احتفالية تستند إلى شعبية الدولة السورية وقواتها المسلحة من دون أن يضيف إليها المشاركون من موقع المعارضة أي شيء يُذكر شعبياً وعسكرياً، لكن يفترض أنّ نهاية الحلّ العسكري ضدّ الإرهاب أن تجلب فرصة الانتقال إلى الحل السياسي بمرحلته الثانية المتمثلة بالانتخابات البرلمانية، التي ستؤكد الطابع التعددي للدولة السورية ومؤسّساتها وتحمل عبر صناديق الاقتراع هذا التنوّع والتعدّد خارج التقسيمات التي عرفناها للموالاة والمعارضة.

«توب نيوز»

الأسد وبوتين

- تؤكد موسكو أنّ قمة ستجمع الرئيسين بوتين والأسد قبل الربيع.
- أربع سنوات عجاف من عمر الأزمة في سورية تكون انقضت.
- أربع سنوات من البطولات الملحمية لجيش سورية وشعبها.
- أربع سنوات من قيادة ستستحق قلادة القيصر المذهب التي سيقلدها إياها بوتين ساعة يضعها على أكتاف وعنق الرئيس بشار الأسد.
- سيكشف بوتين أنّ الأسد شريكه في الحرب والسلام والعمران وأنّ سورية وروسيا تتعاهدان على مسيرة قرن معاً في الدفاع والأمن ومكافحة الإرهاب وصناعة الاستقرار، كما في تنمية الثروات والرفاه والطاقة وإعادة البناء.
- سيطلّ الأسد من شرفة موسكو معلناً بدء الحلّ السياسي للأزمة السورية بالتعاون مع مَن يرفضون أن يكونوا دمى أجنبية لخراب بلادهم، ومن تعلموا أنّ الإرهاب هو العدو الأول لوطنهم، وأنّ سورية لا تخشى الديمقراطية لكنها لن تمنح حكمها جوائز لأحد في الداخل والخارج.
- سيثبت أنّ الأسد هو الرقم الصعب في معادلات الحرب والسلام في المنطقة، وأن معادلة الحرب على الإرهاب لا تستقيم بدونه
- قمة بوتين - الأسد ولادة محور الشرق الذي يكتمل مع إيران والعراق والمقاومة... وينتظر مصر.

التعليق السياسي

نفاق... ثم نفاق... نفاق اجتماعي!

«سمعت» بأمّ عيني... و«رأيت» بأمّ أذني!

■ نصّار إبراهيم

العنوان أعلاه ليس خطأ لغوياً كما ليس سقطة طباعية... بل هو مقصود وبوعي كامل... فعلاً لقد «سمعت» بأمّ عيني، و«رأيت» بأمّ أذني... فهل في ذلك مشكلة؟ سنرى!

ما سأتناوله في سياق هذه المقالة هو حصيلة ما «سمعت» عيناي... بمعنى تحويل الملاحظة البصرية إلى سلوك كما لو كان بياناً يُلقى مباشرة... كما هو أيضاً حصيلة لما «رأت» أذناي... بمعنى رؤية الخطاب والكلام والتعبيرات كما لو كانت سلوكاً مباشراً يُرى بالعين تماماً...

أكثر ما يستفزني، وبالتأكيد يستفز الكثيرين غيري، هو النفاق الاجتماعي، الذي يتجلى في فعل وأداء جسدي وسلوكي ولغوي ليس له علاقة بالقناعات والمواقف الحقيقية المضمرة للفرد والجماعة...

ما سمعته عيناي ورأته أذناي... سمعته عيون الكثيرين كما رأته آذان الكثيرين، فقط لنتذكر ونسترجع... ونستعيد تجربتنا من واقع الحياة... ولكن هذا مشروط بامتلاك الجرأة على البوح والقول والنقد، وسنرى حينها كم ستصدمنا الحقيقة بقسوتها... وسيصدمنا أكثر كيف نتحمّل كلّ هذا النفاق بصمت ومن دون أيّ رد فعل أو خجل... هي مجرّد أمثلة وحالات... وهي مفتوحة للإضافة حتى تصل أعمق أعماقنا.

متديّنون... ولكن!

في معظم المناسبات الاجتماعية العامة، عرس، وليمة، عزاء، حفلة للتهنئة بنجاح أو بعودة من سفر أو من الحجّ... فجأة تتحوّل الجلسة بقدرة قادر إلى جلسة لإلقاء المواعظ الدينية... ومع ذلك ليس هذا هو الغريب... الغريب أنّ جميع الحاضرين يتحوّلون إلى مفتين ومرشدين ووُعّاظ... والأغرب أنّ الجميع يصبح فجأة على الصراط المستقيم... الكلّ يبسمل ويتعوّذ ويحوقل ويستدعي ويصلي على الأنبياء والصحابة... بل ويعلو النقد عن الفساد الأخلاقي والسلوكي وخاصة تجاه المرأة... والأغرب من كلّ ما تقدّم... أنني أعرف معظم الحاضرين وأعرف تفاهتهم وتفاهة سلوكهم الاجتماعي الذي ليس له علاقة بما يقولون... (وقد رأيت رأي العين كيف أنّ أحدهم يتعوّذ ويشتم عندما تمرّ فتاة أنيقة تسير في حال سبيلها وفي ذات اللحظة يكاد ذات «المؤمن» أن يعرّيها ويلتهمها حية... كأكلة لحوم البشر).

تلك هي ثقافة القطيع والرياء وعدوى التديّن الشكلي أو «التديّن الملتبس» لا أكثر، ولا علاقة لها بالدين البسيط الإنساني والعميق من قريب أو من بعيد... هي فقط محاولة كسب الاهتمام... إذ أنّ وعي هذا النمط من الناس يستبطن الشعور بالنقص والهامشية، وبالتالي يكون التعويض من خلال تقمّص التديّن، ايّ الاستنجاد بالنفاق الجمعي وحينها على الجميع أن يصمت وأن يوافق حتى وهم يعرفون أنه غير ما يقول تماما... والسكوت بل والتشجيع في هذه الحالة يعني: سأسكت على ما تقول مقابل أن تسكت على ما سأقول... وهكذا... وفي هذه الحالة مَن سيحاسب مَن؟

ولكن يا هؤلاء... ما دمتم كذلك... فلماذا تكذبون... ولماذا تراوغون ولماذا ليست علاقتكم مع أبنائكم وبناتكم وجيرانكم وزوجاتكم وشقيقاتكم وفي عملكم كما تقولون... هـا...؟ آه... هذا موضوع آخـر...! كـلا... بل هذا هو كلّ الموضوع... وغير ذلك كلام ولغو فارغ... ما علينا!

مسلمون ومسيحيّون (كلنا إخوة!) ولكن...!

في معظم أو كلّ اللقاءات حيث يلتقي ولسبب ما (مسلمون ومسيحيون...) فجأة تصبح الأخوة والتعايش بين المسلمين والمسيحيين هي عنوان الجلسة والخطابات والبيانات... الكلّ يؤكد ويقسم على هذه اللازمة... نصبح كلنا إخوة وأبناء شعب واحد... والمضحك هو الأمثلة التي يتمّ إيرادها للتدليل على هذه الحقيقة الباهرة!: كيف يعايدون ويهنّئون بعضهم البعض، وكيف يعزون ويشربون القهوة معاً، وأحياناً وزيادة في التأكيد يشير أحدهم ويقسم (وأيّ قسم عظيم) على أنّ ابنه يجلس في المدرسة إلى جانب ولد من «الدين الآخر»... لاحظوا مدى التضحية وعمق التعايش والحب... و... و... حتى أنهم يردّون السلام على بعضهم! يا سلام...! هكذا وبهذا يؤكدون على التلاحم والأخوة والتعايش... لاحظوا (تعبير تعايش)... في أروع من هيك... شعب يتعايش مع ذاته...؟ (أية فضيحة هذه!)... ومن كثرة التأكيد على الأخوة والتعايش يبرز في رأسك ألف سؤال... فما دمتم فعلاً أخوة كما تقولون فلماذا تأكيد المؤكد... هذا إنْ لم يكن وراء الأكمة ما وراءها...

تخيّلوا مثلاً كلما التقيت شقيقي محمد أقول له لا تنس أنك شقيقي وطبعاً أنا شقيقك... أو كلما التقيت أصدقاء عمري الياس، أو محمود أو ماجد أو علي أو علاء (القسوس مثلاً) أو رفعت أو جورج... أبادرهم وقبل السلام وبعده: لا تنسوا نحن أصدقاء «ديرو بالكو»... شيء مضحك بل ومثير للقرف...!

في الحقيقة... هذا الحديث هو كمن ينفي عن نفسه تهمة... ويريد أن يؤكد العكس... ولكن لماذا يجب بذل الجهد المضني والمضحك لتأكيد عكس شيء غير موجود في الواقع كما يؤكدون...؟ لماذا يجري التذكير والتأكيد على شيء غير موجود (في الحقيقة هذا السلوك هو انفعال الوعي أو اللاوعي المضمر لا فرق، وما يعكسه من إرهاصات وبشاعة داخلية)

وفي حقيقة الأمر هذا الوعي موجود في أعماق هؤلاء والكلّ يتوقع أنّ الآخر يشعر بوجوده، ولهذا يحاول كلّ طرف تبرئة ذاته بكلام لا يغني ولا يسمن من جوع... والدليل ما أن ينفضّ المجلس واللقاء وتنتهي حفلة «التعايش والأخوة» حتى يقول أحدهم لغيره من ذات اللون والطينة الفاسدة: هل سمعتم الفاعل التارك قال إخوة... «طوشوا راسنا بالآذان أو طوشوا راسنا بأجراس الكنائس» وبقول إخوة...أخو...ال...!

أيّ عار هذا... أيّ نفاق وأيّ إسفاف سلوكي هذا...؟

في الحقيقة... أنا أعرف وأسمع ويصلني بعض ما يقول بعض هؤلاء... وكيف يسخر قوم من قوم دون أن يرف لهم جفن... وكيف يشتمون ويتهمون... وكيف يزرعون في عقول أطفالهم بذور الطائفية والعنصرية الدينية والاجتماعية والشقاء والبؤس... فعن أيّ أخوّة يتحدثون وهم يزرعون بذور الكراهية صباحاً ومساء، صيفاً وشتاء... ها؟ تريدون أن تكونوا فعلاً إخوة إذن كونوا إخوة هكذا ببساطة... بدون توضيح وبدون تفسير، مارسوا ذلك بينكم وبين أنفسكم كما الإخوة فعلاً، حينها فقط ستكونون إخوة بدون براهين وإثباتات تثير الضحك... وعدا ذلك هو نفاق بائس كبؤس الثقافة الطائفية التي لا يربطها رابط بمفهوم الوطن ووحدة شعب يكابد من أجل وجوده... وحتى ذلك الحين... وحتى ذلك الحين ليواصل الجميع الرقص وإهانة الذات، فما دامت ذاتنا الفردية والجماعية مباحة لهذه الدرجة إذن لنتحمّل... يلا ما علينا!

مثقفون ولكن...!

في اللقاءات الثقافية والأدبية... حيث تجتمع «نخبة» القوم كما يُقال... فجأة تغمر الثقافة الجميع... وينفلت عقال النقد والغضب من ضحالة الثقافة السائدة... وكيف تراجعت بل واختفت عادة القراءة مثلاً... وكيف... وكيف... يجري هذا مع أني أعرف العديد من هؤلاء، كما أعرف أنّ بعضهم قد يكون آخر كتاب قرأه هو الفرسان الثلاثة لأكسندر دوماس أو رحلات جوليفر لجول فيرن (مش جول جمال طبعاً)... أو طرزان ربيب القرود قبل 20 أو 30 عاماً، وربما كتاب الأبراج... او عذاب القبر... ومع ذلك ينتقد سطحية الجيل الراهن ويبكي على تراجع مكانة الكتاب وعادة القراءة... والجميل أكثر هو عندما أحمل كتاباً كهدية لأحدهم... في مناسبة عيد ميلاد أو زواج مثلاً... فيفاجئني بهتاف (واو!)... انفعالاً ودهشة... وبعد دقائق يرمى الكتاب... (الحق عليّ أصلاً) كان المفروض أن اتعلّم... بس فناجين قهوة تلك هي الهدية... فناجين... فناجين... والفناجين تلك تعرف وظيفتها... حيث ستذهب لاحقاً هدية لطرف ثالث... أما الكتاب... يا حسرة...!

وهنا لا بأس من مداعبة هتاف (الواو) قليلاً... بصراحة أنا أكره هذه (الواو) وسذاجتها وسطحيتها ونفاقها... لأنها تذكرني بالبرنامج التلفزيزني الأميركي الشهير «أوبرا»... تقول أوبرا للحضور وهي في ذروة الانفعال: سأهدي كلّ واحد من الحضور قلم رصاص... فيضجّ الحضور بانفعال جمعي: واو! قلم رصاص... واو...! (يا قلبي)... بل وبعضهم تدمع عيناه انفعالاً...

نعم قلم رصاص... قلم رصاص عادي! هذه الواو تقهرني...

ومع ذلك... ما علينا!

«طوشة حمقاء» ولكن...!

كم هو جميل أن نستمع إلى تعليقات البعض عندما يجري الحديث عن مشكلة بين شخصين أو عائلتين تطوّرت إلى اشتباك وعراك وربما دماء... على متر أرض أو على أولوية المرور أو بسبب التسابق على موقف سيارة أو حمار أو حتى عند شراء ربطة خبز أو بطة عرجاء... يستهزئ الكثيرون ويضحكون ويشتمون قلة عقول هؤلاء الذين يتعاركون على متر أرض أو موقف... أو ... لنتفاجأ بعد أيام أنّ أحد هؤلاء قد شجّ رأس أحد آخر لأنه طلب منه أن لا يلقي القمامة في الشارع... وآخر قد كسر جميع زجاج بيت جاره – جاره منذ ثلاثين عاماً – لأنّ ابنه قد تعارك مع ابن الجار المذكور على كرة أو «قلول يعني دِحَل»... برضو ما علينا!

حجاب وسفور... ولكن...!

قناعة غبية تهيمن على عقول الذكور والإناث مفادها أنّ الفتاة بمجرّد أن تلبس الحجاب فهي مؤدّبة ومحتشمة وأخلاقية... ومن لا تلبس المنديل أو الحجاب فهي خفيفة ومباحة ولا أخلاق عندها... مع أني أعرف كثيراً كثيراً... والكثيرون غيري يعرفون كثيراً كثيراً والنماذج التي ليس للحجاب أو المنديل علاقة أخلاقية بسلوك الفتاة المعنية... كما أعرف الكثير الكثير من الفتيات «السافرات» (أحببت أن أستخدم هذا التعبير كما هو... بما يحمله من إيحاءات وشحنات سلبية مسبقاً) اللواتي يعتقد البعض أنهنّ صيد سهل... مع أنّ الواحدة منهن في الحقيقة والواقع بألف «شاب» لا يساوي مليماً في سوق الرجال وغير الرجال... فالأخلاق ليس لها علاقة باللباس وإنما تعود إلى الوعي والتربية والثوابت وأصول العلاقات ومفهوم الحرية والمسؤولية وقوة الذات...

الوجه الآخر لهذه العملة الصدئة هي أن تسود نظرة عند جماعة «المودرن» أنّ كلّ من تلبس حجاباً يعني «محجبة» (نفس التعبير يحمل إيحاءات وشحنات سلبية مسبقاً) فهي متخلّفة... ورجعية وغير حضارية... يا سلام...؟ هيك العبقرية والحضارة ولا بلاش! إنّ أقل ما يُقال في هكذا نظرة أو موقف أو سلوك أنه ساذج وسطحي وغبيّ... فمن قال إنّ التنورة مؤشر ذكاء والحجاب أو الثوب الفلاحي أو البدوي مؤشر تخلّف... من قال ذلك؟ فعلى حدّ علمي المتواضع أنّ «الحجاب» أو «السفور» لا يعطي عقلاً ولا يرفع ولا يخفض شأناً... هي قناعات ومعتقدات لا أكثر فلنحترمها بذاتها ولا نسقط عليها ما ليس فيها... ولكن «يلاّ» ما علينا!

رجولة وأنوثة... ولكن...!

يفاجئك سلوك بعض الشباب الذي يعتقد أنه بقدر ما يكون شرساً وجلفاً وعدوانياً، وبقدر ما ينفخ صدره كديك حبش أحمق... فإنه بهذا يثبت أنه رجل ولا كلّ الرجال... أما الأدب والأناقة والدماثة والتواضع فهي دلائل على الهشاشة والضعف والجبن...! وقد نسي هؤلاء أو أنهم لم يسمعوا يوماً بحكمة العرب كما صاغها شعراً عباس بن مرداس:

ترى الرجلَ النّحيفَ فتزدريهِ ... وفي أثوابِهِ أسدٌ مُزيرُ
ويعجبكَ الطريرُ فتبتليهِ ... فَيَخلفُ ظنَّكَ الرجلُ الطريرُ

أما على المقلب الآخر من اللوحة فيفاجئك سلوك بعض الفتيات اللواتي يعتقدن أنه بقدر ما تكون الفتاة مائعة و«دلوعة» واتكالية وضعيفة وهشة بقدر ما تكون أكثر أنوثة... ويبالغن في هذا السلوك الأبله حتى تتحوّل الواحدة لتصبح مجرّد لعبة غبية (في الواقع وفي البيت مثلا تتحوّل إلى رامبو)...

والآن قولوا لي وللآخرين بصراحة... هل ما «سمعت» عيناي... وما «رأت» أذناي... هو فعلاً هكذا...؟ أم أنّ عليّ أن أتوجه إلى أقرب عيادة طبية لتغيير مواقع عيني ومواقع أذني...؟ أم أنكم أيضاً مثلي هكذا... ترون بآذانكم وتسمعون بعيونكم... وإذا كان الحال كذلك... فتفضلوا قولوا ما لديكم...!

«داعش» والمثقف العربي: عندما يستخدم التحليل بهدف التضليل

■ فارس رياض الجيرودي*

تفيض كتابات المثقفين العرب اليوم بالبحث والتقصي والتحليل الهادف إلى تفسير وتشخيص الآفة «الداعشية»، وإلى الكشف عن جذورها العميقة، فيشير البعض إلى حقيقة كون الظاهرة مركبة، ويستحضرون سياقات متعدّدة نشأت في كنفها، كتعثر عملية التحديث والتنمية في العالم العربي وإخفاق المشاريع الكبرى التي كانت تعد شعوب المنطقة بمستقبل أفضل وبإسقاط الحدود بين كياناتها الهزيلة، كما بحث البعض عن أصول «الداعشية» في الثقافة العربية والإسلامية، فنقبوا عن الثغرات التي نفذ منها التطرف ليلوّث الدين والفكر العربيّين.

إنّ كلّ ما سبق مهمّ ومفيد لفهم الظاهرة وتجاوزها، لكنّ الخطير والمقلق أنه أضحى يُستخدم في كثير من المواقع بهدف التعمية عن المسؤول الحقيقي عن تنامي التطرف في المشرق، وللتغطية على من يقف وراء توغله وتحوّل جماعاته من مجرّد جماعات مطارَدة تفجر هنا وهناك، إلى شبه دولة تسيطر على مساحات واسعة من الجغرافية السورية العراقية، وتهدّد أمن كلّ بلدان المحيط، بل والعالم.

إنّ استخدام التحليل هنا، مع إغفال الحديث عن المسؤول عن رعاية ودعم وتمويلٍ وتسليح بذرة الوهابية المسلحة في المشرق بهدف استخدامها سياسياً، يشبه تسليط شعاع من الضوء المبهر على حدقة العين بهدف منعها عن رؤية حقيقة المشهد، فالتطرف ليس طارئاً على العالم العربي، وهو ليس مقتصراً في أيّ حال من الأحوال على العرب والمسلمين، وكان يمكن أن تبقى أضراره على أمن المشرقيين محصورة ضمن حدودها الطبيعية، لولا تطوّر هام وكبير شهدته المنطقة خلال السنوات الثلاث الماضية.

القتل باسم الله، كان عنوان بيان وقعت عليه نخبة من المثقفين الأميركيين وصدر في يوم 3–1–2011 عقب أحداث الحادي عشر من أيلول 2001 التي زلزلت واشنطن ونيويورك، وهزت الوجدان الأميركي الجمعي بعنف. لم يكن أحد في هذا العالم يومها يتصوّر أن تقدم الولايات المتحدة بعد عشر سنوات فقط من واقعة 11 أيلول على تقديم الدعم لجماعات ترفع شعارات إسلامية وتمارس القتل باسم الله، ولم يكن أحد يتخيّل أن يعيد الإعلام الأميركي إنتاج «بروباغندا» المقاتلين من أجل الحرية التي استخدمت يوماً لتصوير المجاهدين الأفغان، لكن هذه المرة في معرض وصف من قاموا بتقطيع جثث رجال الأمن السوري وإلقائها في مياه نهر العاصي وهتفوا لإبادة طوائف وملل بعينها، بـ«الثوار». لكنّ الولايات المتحدة فعلتها مجدداً، فعلتها رغم أنّ تجربتها الأفغانية السابقة أثبتت أنّ منح قطعة من العالم للوحش الإرهابي يعني إعطاءه الفرصة للوصول إلى أي بقعة أخرى من هذا العالم، بما فيه أميركا نفسها.

في العام 2011، وفي لحظة عجز عن شنّ حروب عسكرية جديدة، قررت الولايات المتحدة المنسحبة بجيوشها من العراق أنّ الخطر المتوقع على أمن قاعدتها العسكرية في المنطقة المتمثلة بـ«إسرائيل»، يستلزم منها المخاطرة بإعادة استنساخ تجربة الجهاد الأفغاني وذلك بهدف الحؤول دون حدوث تواصل جغرافي بين عدوتي «إسرائيل» اللدودتين في المنطقة إيران وسورية عبر العراق، الواقع لأول مرة تحت سيطرة حكومة متحالفة مع كلّ من طهران ودمشق. لقد قرّرت الولايات المتحدة مباشرة وعبر حلفائها في المنطقة (أنظمة الحكم في كلّ من الخليج وتركيا)، استدعاء جحافل المشاهدين مجدداً، وتقديم المال والسلاح وتسخير الإعلام لخدمة غزوتهم «الجهادية» الجديدة، التي اختاروا شوارع المدن السورية وأزقتها كساحات لها، ليثبت المخطط الاستراتيجي الأميركي مرة أخرى أنه لا يعبأ بأمن المواطن الأميركي بقدر اهتمامه بأولويات النخبة الحاكمة في أميركا والمرتبطة بشبكة مصالح استعمارية وكولونيالية تفرض حماية «إسرائيل» ومنابع النفط كغاية كبرى تتضاءل أمامها كلّ المخاطر الاستراتيجية والأمنية الأخرى.

تستطيع الإدارة الأميركية أن تخدع الرأي العام الأميركي مجدّداً وأن تغطي على قرارها الواعي بدعم السلفية الجهادية عبر الادعاء بأنها قامت بتسليح وتمويل ما يسمى المعارضة السورة المعتدلة، كما ورد على لسان رئيسها باراك أوباما أكثر من مرة، كما يمكنها أن تهزأ بعقل المواطن الأميركي مجدّداً عبر ادعاء القدرة على مواجهة «داعش» والنظام السوري معاً عبر دعم تنظيمات «الجيش الحر» الهزيلة والمخترقة للعظم من قبل «داعش» و«النصرة»، وهي على كلّ حال مسؤولة في أفعالها تلك أمام الشعب الأميركي وليس أمامنا، لكننا بالنظر إلى الضرر البالغ الذي ألحقته الكارثة «الداعشية» بأمننا القومي وبصورتنا أمام العالم، نرى أنه أصبح لزاماً علينا محاكمة النخب السياسية والدينية والإعلامية العربية التي تواطأت مع أميركا تحت غطاء الربيع العربي المزعوم لتدمير الدولة السورية، ككيان وليس كسلطة أو نظام فقط.

لقد انحاز القسم الأكبر من المثقفين العرب إلى الرواية الرسمية التي تحدثت عن لاسلمية المظاهرات وعن إمارات سلفية وغزوات بهدف السبي، وعن جماعات تحمل فكراً تكفيرياً يتوعّد بالقتل كلّ مختلف عنه دينياً أو سياسياً، بينما دافع قسم آخر عن عملية استهداف مريعة وممنهجة لكلّ معالم الحضارة على الأرض السورية ولما أنتجته جهود التنمية في بلادنا خلال العقود الأخيرة، كما تواطأ مع دخول من سموا بالمعارضة السورية المسلحة في حرب استنزاف مع الجيش السوري الجيش الذي خاض آخر مواجهة مسلحة عربية نظامية مع جيش الكيان الصهيوني في لبنان عام1982، كما شارك في كل المواجهات العسكرية مع «إسرائيل» سواء أكان ذلك بصورة مباشرة أو عبر إمداد وتسليح المقاومة. الجريمة هنا أوضح من أن يمكن التهرب منها، والمفارقة أنّ من سموا بالثوار وفروا بأنفسهم وبواسطة كاميراتهم أدلة إدانتهم، وذلك عبر توثيق مظاهرات «بالذبح جيناكم»، وتسجيل عمليات تفجير محطات الكهرباء ونهب المعامل في حلب وغيرها عبر تفكيكها تمهيداً لتهريبها ونهب صوامع الحبوب وإعادة بيعها في تركيا الشريك المضارب في ما سمي بالثورة السورية. كما وثقوا قيامهم بتدمير وسائل الدفاع الجوي السوري التي لا يمكن أن تستخدم في أي حال من الأحوال في قمع المظاهرات من أي نوع كان، وهنا يبرز السؤال الهام: ما هو الفارق الجوهري بين شعارات وممارسة وآليات عمل كل من ألوية «الجيش الحر» بمسمياته المختلفة والتي أنتجت بهدف حماية مظاهرات قيل أنها كانت سلمية، وبين «جبهة النصرة» الإرهابية التي اعتبرت أحد أركان العمل الثوري في سورية، وبين «داعش». وقد يكون مفيدا للإجابة عن هذا التساؤل تذكّر الحملة الشعواء التي شنت في والسط الثقافي والإعلامي العربي في وجه صحافية لبنانية شابة قامت بدافع الحماس بتقديم وصف صادق للمشهد القندهاري الذي شاهدته أثناء زيارة استقصائية لمدينة حماة السورية في بداية الأزمة.

لم يكن المراقب لتطور الأحداث يحتاج إلى التمتع بضرب من العبقرية حتى يتوصل إلى اكتشاف غلبة المشهد الوهابي المتطرف على المظاهرات الأولى في درعا وحمص، تلك التظاهرات التي انطلقت من مساجد يحمل خطباؤها فكراً لا يقبل الاختلاف حتى في الجزئيات أو الفروع، مظاهرات هتفت منذ البدايات لتكفير وقتل وتهجير طوائف معينة بالاسم. كان لا بدّ لتظاهرات على تلك الشاكلة، أن تنتج توحشاً كالذي نراه اليوم تحت راية «داعش»، والذي رأيناه بالأمس في تفجيرات دمشق وحلب الانتحارية تحت راية جبهة «النصرة»، ورأيناه قبل ذلك وتحت راية «كتيبة الفاروق» في حمص استخراج قلب جندي سوري ومضغه أمام الكاميرات. لكنّ بعض المثقفين العرب أصرّوا إزاء كلّ ذلك على ممارسة لعبة التعامي و القفز على حبال أسماء التنظيمات المختلفة، وهي اللعبة والخدعة ذاتها التي استخدمها أوباما لخداع الرأي العام الأميركي، عندما قرّر تسليح المقاتلين في سورية وتمويلهم.

لقد تمّ تحويل التظاهرات المحدودة من حيث العدد وبقرار أميركي، إلى حرب بالوكالة رصدت من أجل دعمها كلّ وسائل الحرب الحديثة من حشد وتسليح وتدريب وشنت لتغطيتها واحدة من أكبر الحملات الإعلامية في التاريخ، مع ممارسة التضييق السياسي وفرض العقوبات الاقتصادية الصارمة على الدولة السورية.

ولا يفيد المثقف العربي هنا التذرع بعدم تمتع الدولة الوطنية في سورية بالديمقراطية، لتبرير تماهيه مع عدوان أميركي شنّ بالوكالة وبدأ باستهداف مؤسسات الدولة السورية تحت شعار إسقاط النظام، لينتهي بالعمل على محاولة تفجير المجتمع السوري بمكوناته المختلفة، كل ذلك تحت مرأى المثقف العربي المنفصل عن الواقع والغارق في التنظير لديمقراطية شبيهة بالديمقراطية السويسرية، والرافض لأي إصلاحات تقدمها السلطة السورية.

لقد سقط المثقفون العرب في الفخ ذاته الذي سقط فيه أجدادهم قبل مئة عام عندما ساندوا ثورة تحت قيادة الشريف حسين، انتهت بقيام دولة «إسرائيل»، وهذه المرة انتهى الربيع العربي المزعوم إلى قيام دولة «داعش»، والفارق الوحيد بين الأمس واليوم، أنّ الأجداد وقعوا في الفخّ بدافع السذاجة المفرطة، بينما تبدو نوايا القسم الأكبر من مثقفي اليوم ملوثة بمال النفط العربي.

* كاتب سوري

بلاغ ضدّ نفسي

■ بشير العدل

لم أكن يوماً، ولن أكون، من الذين يروّجون لما حدث بعد يوم 25 ومنتصف يوم 26 كانون الثاني 2011، على أنه كان يمثل مطالب شعبية من النظام السياسي بتوفير العيش والحرية والكرامة الإنسانية، وأنّ التظاهرات التى تلت ذلك التاريخ، كانت امتداداً لتظاهرات شبابية سلمية، خرجت فى عيد الشرطة، الذى يوافق ليوم 25 كانون الثاني، تطالب بتحسين الحالة الاقتصادية لكثير من الشباب العاطل عن العمل، الذى يعاني البطالة وضيق ذات اليد، ويسعى إلى مستقبل يحميه من التشرّد والضياع، دون التفكير فى هدم الدولة، والاصطياد فى الماء العكر، تحقيقاً لأهداف خارجية اجتمعت معها مساع داخلية، لتغيير الوضع فى مصر، نحو ما تصبو اليه قوى الشرّ العالمية، والتي اشترت، بل وسخرت، من أجلها قوى شرّ إقليمية ومحلية، لمساعدتها فى تحقيق هدفها الاستعماري الجديد.

ولم أكن يوماً، ولن أكون، من الذين آمنوا، أو يؤمنون، بأنّ ما حدث بعد ذلك التاريخ، يمثل إرادة شعبية مصرية حرة، فى التغيير والتحوّل الديمقراطي فى البلاد، بعد عقود ساد فيها الفساد والتراجع فى كلّ القطاعات والمجالات، وبكلّ المقاييس المحلية والعالمية، وأنّ ما حدث كان رغبة فى تحقيق ما هو أفضل للبلاد والعباد، وأنّ ما حدث فى 28 كانون الثاني كان تصرّفاً بريئاً من مساجين وجدوا وعلى غير ما يتوقعون، أبواب السجون مفتوحة أمامهم، وأنهم خرجوا منها ليعودوا إليها، غير أنهم لم يجدوا ما يعيدهم إليها، وهي الرواية التى روّج لها أحد المساجين الذي تم الدفع به إلى سدة الحكم.

ولم أكن يوماً، ولن أكون، من الذين آمنوا، أو يومنون، بأنّ الشباب الذى ضحى بروحه وارتقى عند الله شهيداً، قد جنى من بعدهم أهلهم أو وطنهم ما كانوا يسعون اليه ويبغونه وضحوا من أجله، بل دفعوها ثمناً لخيانة من أرادوا أن يسقط الشهداء حتى يكونوا وقوداً لحربهم على الدولة، التى أعلنوها وخططوا لها من قبل، وحتى يكونوا ماء لنار الغلّ الذى تكمن من صدورهم، وأداة لتحقيق رغباتهم الانتقامية التى ظلت جاثمة على أنفاسهم لعقود كثيرة من الزمن، غير عابئين بآلام الأمهات الثكالى والأطفال اليتامى والزوجات الأرامل.

ولم أكن يوماً، ولن أكون، من الذين آمنوا، أو يؤمنون، ....، ....

أما وقد أعلنت الدولة سيرها فى طريق عدم احترام ايماني، وتتجه إلى تجريم ما أحتقره، وما أعتبره خيانة لبلادي مصر، وتسعى إلى تقنين عقوبة لعدم إيماني بخيانة الوطن، واستحلال دماء أبنائه، والتضحية بشبابه، والسعي نحو هدم الدولة، فإنني هنا أتقدّم بأول بلاغ ضدّ نفسي، بأنّ كاتب هذه السطور، يهين بل يحتقر كلّ من شارك ويشارك فى استغلال طموح الشباب، ويغرّر بهم ويستخدمهم وقوداً وأداة لتحقيق أهدافه الخاصة.

يهين ويحتقر... كلّ الأفعال التى تحلّل دماء الأبرياء، وتروّع الأطفال وتحرمهم من آبائهم أو أمهاتهم.

يهين ويحتقر... كلّ من أوجد أمّاً ثكلى أو طفلاً بدون والديه أو أحدهما، وشاباً عاجزاً لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً.

يهين ويحتقر... كلّ من يسير على جثث أبناء بلادي، ويتاجر بها من أجل مصلحة فى سلطة أو جاه.

يهين ويحتقر... كلّ من يريد للدولة عدم استقرار ويسعى فى خرابها ويخون ترابها، خدمة لأعداء الوطن.

* كاتب وصحافي مصري

eladl254@yahoo.com